

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 83- سورة آل عمران | من الآية 09 إلى 19

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدثهم ملة الارض ذهابا - [00:00:00](#)

اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين هاتان الايتان الكريمتان من سورة آل عمران جاءت بعد قوله جل وعلا كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات - [00:00:38](#)

والله لا يهدي القوم الظالمين الايتين يقول جل وعلا ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ان الذين كفروا بعد ايمانهم يعني ارتدوا عن الاسلام اسلموا - [00:01:15](#)

وامنوا ثم ارتدوا عن الاسلام ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ثم ازدادوا كفرا اي كما قال بعض المفسرين استمروا على كفرهم وما هم عليه من الضلال حتى ماتوا عليه - [00:01:49](#)

قالوا حتى ماتوا عليه لانه وردت آيات واحاديث تدل على قبول توبة العبد ما لم يغرغر وقبل الغرغرة فالله جل وعلا يتوب على من تاب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه مع انه قال من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب - [00:02:23](#)

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال من تاب قبل الممات فقد تاب من قريب اذا المراد والله اعلم ثم ازدادوا كفرا يعني استمروا على كفرهم - [00:02:56](#)

وبقاؤهم على الكفر هذا زيادة ظلام. وكان المفروض والواجب عليهم حيث انهم علموا ان يرجعوا وعما فعلوه كما في الايتين السابقتين في قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور - [00:03:23](#)

غفور رحيم المراد بقوله جل وعلا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم يعني استمروا على كفرهم حتى الممات واولئك هم الضالون الواقعون في الظلال الهاكون وقال بعض العلماء رحمهم الله - [00:03:55](#)

هذه الآية تدل على عدم قبول توبة الزنديق كما اخذ بهذا بعض الفقهاء رحمهم الله قالوا الزنديق لا تقبل توبته في الدنيا وفي الآخرة امره الى الله جل وعلا لكن في الدنيا لا تقبل - [00:04:28](#)

من هو الزنديق الزنديق الذي تكرر كفره بعد ايمانه امن ثم كفر ثم امن ثم كفر متلاعب يغرر بالمسلمين ويؤذيهم بهذا فهذا يسمى زنديق فلا تقبل توبته لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ولهذا ما استثناهم الله جل وعلا وما جعل لهم توبة كالذي - [00:04:56](#)

دينار من قبلهم الذين كفروا بعد ايمانهم ثم تابوا الى الله ان الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اعمالهم فان الله غفور رحيم ثم قال جل وعلا ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار - [00:05:35](#)

قد يقول قائل اذا ما الفرق بين هذه الآية والتي قبلها ما دام اولئك لا تقبل توبتهم وهؤلاء ماتوا وهم كفار يقال اولئك لا تقبل لهم توبة. هذا في الفدا والله اعلم - [00:06:03](#)

هذه الآية في الفدا بانه لا يقبل من احد فداء يوم القيامة. ولا يقبل منه هو عمل وان كان ظاهره الصلاح ما دام مات على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدثهم ملة الارض ذهابا ولو افتدى - [00:06:21](#)

لو صار له ملة الارض ذهب من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها كل ذهب مع ان هذا مستحيل لكن لو على فرض انه صار له هذا ويريد ان يبذله فدا لنفسه لان لا يدخل - [00:06:53](#)

النار وليدخل الجنة ما قبل منه ذلك وهذا دليل على ان عمل الكافر مهما عمل وان كان ظاهره الصلاح واراد به وجه الله فانه لا ينفعه في الدار الآخرة وانما ينفعه في الدنيا - [00:07:16](#)

يعطيه الله جل وعلا يثيب على هذا الصحة والعافية والمال والولد والجاه وغير ذلك. واما في الآخرة فلا وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله ابن جدعان وكان يقضي الضيف ويفك العاني وله مواقف ويطعم الطعام - [00:07:40](#)

يعني انه كان يعمل اعمال صالحة لكن في الجاهلية هل ذلك ينفعه عند الله؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم لا لا لانه لم يقل يوما من الدهر اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين - [00:08:04](#)

ما امن بالله والله جل وعلا قال في حق من عمل اعمالا ظاهرها الصلاح ولم يكن مؤمنا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا لان العمل مهما عظم فلا ينفع صاحبه ما لم يكن مؤمنا - [00:08:30](#)

والعمل وان قل فانه ينفع صاحبه مع الايمان بالله جل وعلا اذا تصدق العبد بشق ثمرة يتقبلها بيمينه وكلنا يدي ربي يمين مباركة ويربها لصاحبها كما يربي احدهم فلو. حتى تكون كالجبل العظيم - [00:09:04](#)

لانه صدقة وان كانت يسيرة لكن اريد بها وجه الله وعائشة رضي الله عنها ما توقفت عن الصدقة بثمرة واحدة لما جاءتها السائلة وهم ثلاث نفر الام وابنتان معها كما وجدت عائشة رضي الله عنها الا ثمرة واحدة - [00:09:32](#)

تقول فشقتها نصفين فاعطت كل واحدة نصفاً ولم تطعم منها شيء وفي المرة الثانية في حديث اخر اعطتها رضي الله عنها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة من الابنتين واحدة وارادت ان تطعم فاستطعمتها ابنتاها - [00:09:57](#)

فشقتها بينهما نصفين ولم تطعم من الثلاث شيئاً والصدقة وان قلت مع الاخلاص لله والايمان به فانها تنفع نفعا عظيما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا نرى ولو بشق ثمرة - [00:10:22](#)

واذا كان العمل بغير الله فانه لا ينفع وان عظم وكثر وان كان كامثال الجبال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملة الارض ذهباً ولو افتدى به لو - [00:10:48](#)

لو بذل هذا كان يملكه وبذله ما قبل منه اولئك لهم عذاب اليم مؤلم شديد لعدم الايمان بالله جل وعلا وما لهم من ناصرين. لا احد يستطيع ان ينصرهم وينجيهم وينقذهم من عذاب الله - [00:11:13](#)

لان الحكم في الدار الآخرة لله جل وعلا وحده الدنيا جعل الله جل وعلا حكاما يحكمون فيها وقد يؤثر الشافع على الحاكم فيجد الظالم من يؤويه يجد من ينصره يجد من يدافع عنه - [00:11:42](#)

في الدنيا واما في الآخرة فلا لا احد ينصر احد ولا احد ينفع احدا الا بما قدم من عمل صالح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما نادى البطون عمو وخصص وقال يا فاطمة بنت محمد - [00:12:15](#)

سليني من مالي ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا وكأني باحكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبتك بغير. والآخر على رقبتك بقرة والآخر على بقر على ظهر على رقبتك رقاع تخفق. ثياب وامتنعة - [00:12:37](#)

فيقول انقذني انقذني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك احد يستطيع ان ينفع احدا الا باذن الله جل وعلا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا يرضى جل وعلا الا لمن - [00:13:06](#)

حسن وصح عمله بتوحيد الله جل وعلا ففي الايتين تحذير وبيان بان الشرك ومن مات كافرا لا ينفعه العمل الذي يقدمه وان كان ظاهره الصلاح وان تكرر كفره امن ثم كفر ثم كفر ان الله جل وعلا يبتليه بهذا فيموت كافرا - [00:13:30](#)

بالله فلا احد يستطيع ان ينفعه او ينقذه من عذاب الله يبين تعالى متوعدا ومهددا لمن كفر بعد ايمانه ثم ازداد كفرا اي استمر عليه الى الممات ومخبرا بانهم لن تقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى - [00:14:09](#)

وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت الاية ولهذا قالها هنا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون اي

الخارجون عن المنهج الحق الى طريق الغي قال الحافظ ابو بكر - [00:14:38](#)

عن عكرمة عن ابن عباس ان قوما اسلموا ثم ارتدوا ثم اسلموا ثم ارتدوا فارسلوا الى قومهم يسألون يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية - [00:14:55](#)

ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ثم قال تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملة ملة الارض ذهبوا ولو افتدى به - [00:15:12](#)

اي من مات على الكفر فلن يقبل منه خير ابدًا ولو كان قد انفق ملة الارض ذهبًا فيما يراه قرية كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله ابن جدعان وكيف يقري الضيف - [00:15:27](#)

وكان يقري الضيف ويفك العاني ويطعم الطعام هل ينفعه ذلك؟ فقال لا انه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني ما امن بالله فلا ينفعه العمل الدنيوي الذي يقدمه - [00:15:45](#)

وان كان فيه خير واحسان مثل ما يفعل بعض الكفار الان يكون في مروءة او ينفع او يشفع او يطعم الطعام او يساعد الفقراء كل هذا لا ينفعه في الدار الآخرة والله جل وعلا لا يضيع اجر عامل - [00:16:03](#)

فمن عمل بلا ايمان يعجل الله جل وعلا له ثوابه في الدنيا ويقدم الآخرة وما بقي له حسنة والعياذ بالله وكذلك لو افتدى بملى الارض ايضًا ذهب ما قبل منه كما قال تعالى ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة - [00:16:24](#)

وقال لا بيع فيه ولا خير. يعني لا فدا ولا احد يشفع لان المرء يؤمل في الدنيا مثلاً ان يفتدي يقال مثلاً يقرر عليه السجن كذا يقول اشترى السجن هذا بخمسة الاف بعشرة الاف - [00:16:54](#)

اشترى الجلد بكذا مثلاً يفتدي. الشيء الثاني الشفاعة ان يشفع له شافع ليتخلص من هذا العذاب الذي قرر عليه في الدنيا لكن في الدار الآخرة لا هذا ولا هذا وقال ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب - [00:17:12](#)

ولو افتدى نفسه ولو افتدى نفسه من الله بملة الارض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها ووعرها وبرها وبحرها عن انس ابن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال - [00:17:41](#)

يقال للرجل من اهل النار يوم القيامة ارايت لو كان لك ما على الارض من شيء؟ اكنت مفتدياً مفتدياً به قال فيقول نعم. فيقول الله قد اردت منك اهلون من ذلك - [00:18:01](#)

قد اخذت عليك في ظهر ابيك ادم الا تشرك بي شيئاً فابيت الا ان تشرك طريق اخر وقال الامام احمد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:18:14](#)

يؤتى بالرجل من اهل الجنة فيقول له يا ابن ادم كيف وجدت منزلك؟ فيقول اي ربي خير منزل؟ فيقول سل وتمنى فيقول ما تتمنى زياد يا هذا الذي دخل الجنة يعرظ الله جل وعلا له فيقول له ماذا تطلب - [00:18:30](#)

فوق ما انت فيه فما يفكر في شيء اكثر مما هو فيه فيقول يا ربي اطلب العودة الى الدنيا ليقتل فيك اكثر من مرة فيقول سل وتمنى فيقول ما اسأل ولا اتمنى الا ان تردني الى الدنيا فاقتل في سبيلك عشر مرار لما - [00:18:53](#)

ومن فضل الشهادة ويؤتى بالرجل من اهل النار فيقول له يا ابن ادم كيف وجدت منزلك؟ فيقول يا رب شر منزل فيقول له اتفتدي مني بضلاع الارض ذهباً؟ فيقول اي ربي نعم. فيقول كذبت قد سألتك اقل من ذلك وايسر - [00:19:16](#)

فلم تفعل فيرد الى النار يعني طلب منك الايمان بالله جل وعلا ومالك لك ولن يترككم اموالكم ما يطلب الله جل وعلا المال من عبده لانه جل وعلا هو الغني - [00:19:36](#)

وانما يريد من عبده ان يعبدته وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون. ان الله هو الرزاق القوة المتين ولهذا قال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين - [00:19:53](#)

اي وما لهم من احد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من اليم عقابه والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا

